

الفصل الثاني

أسرة الشريف الرضى

بحسب ما كتبه التاريخ كثيراً على أنظر بشيء يكشف لنا القناع عن أسرة الشريف ولكن عبتنا كان ذلك . فلقد ذهبت مجهوداتي أدراج الرياح ولم أعثراً إلا على أخبار قليلة جداً عن أمه وأبيه وأخيه المرتضى أجل لقد وضع الشريف كتاباً خافوا عن سيرة والده ولكنه ضاع فيما ضاع من الكتب ولم يصلنا منه إلا اسمه .

الشريف الرضى من نسل على بن أبي طالب فهو عاوى يدين بأمامة جده على ويرى أنه أحق بالخلافة من غيره لذلك كانت أسرته من الأمور المعارضة للخلفاء العباسيين في السر وفي الجهر والعاملة على إزالة حكمهم ونحو سلاطنتهم .

أما أبوه فهو الحسين بن موسى يكنى أبا أحمد ويلقب بالطاهر ذي المناقب وقد خاطبه بهاء الدولة بالطاهر الأوحده . ولد سنة ٣٠٤ هـ وكان محترماً بجلاله كما كان سياسياً موفقاً وكثيراً ما نجح في فض المشكلات التي

كانت تقوم بين الخلفاء العباسيين وملوك بني بويه أو التي كانت تقوم بين أفراد آل بويه أنفسهم . وقد وصفه ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة بقوله « كان جليل القدر عظيم المنزلة في دولة بني العباس ودولة بني بويه والأمراء من بني حمدان وغيرهم . وكان مبارك الغرة ميمون النقيبة مهيباً نبيلاً ماضعاً في إصلاح أمر فامد إلا صلاح على يديه » .

والظاهر أن بعض حماد الطاهر كادواله وسمعوا بينه وبين عضد الدولة فنقم عليه وأمر بسجنه بأحدى قلاع بلاد فارس فبقي بها حتى مات عضد الدولة وخلفه ابنه شرف الدولة فأطلق مراحه واستصحبه مع حاشيته حين قدم بغداد . وفي ذلك يقول الشريف الرضي :

طلوع هداه إلينا المغيب	ويوم تمزق عنه الخطوب
لقيتك في صدره شاحباً	ومن حلية العربي الشحوب
تغربت مستأنساً بالبعاد	والليث في كل أرض غريب
وأحرزت صدرك للنائبات	وللداء يوماً يراد الطبيب

وهي خمسون بيتاً .

وكثيراً ما مدح الشريف أباه بقصائد طويلة ومن أمثلة ذلك قوله

من إحدى هذه القصائد .

يا ابن النبي مقالاً لا خفاء به	وأحسن القول فينا قول مختصر
وأيت كفك مأوى كل مكرمة	إذا تواصت أ كف القوم بالعسر

قد طاب فرعك واهتزت أراكته في المجد انى أعلين أعلين الشجر
وقد ولي الطاهر نقابة الناطمين وكذا النظر في المظالم والحق بالناس
وكان ينزل عن أعماله أحياناً لأبيه الشريف الرضى مهدئة لخاطره النائم
ولأن الرجل كان قد تقدم في السن فنالت منه الشيخوخة ما نالت وأثر
الهرم في عينيه فأصبح لا يستطيع القيام بأعباء هذه الأعمال . وقد توفي
الطاهر سنة ٤٠٠ هـ بعد أن عمر أكثر من تسعين عاماً . وقد رثاه ابنه
الشريف بقصيدة أبدع فيها كل الابداع وأجاد فيها كل الأجاد
ومطلعها .

وسمكت حالية الربيع المرهم	وسمكتك هاقية الضام المرزم
وعدت عليك من الحيا بمودع	لا عن قلب ومن الندى بمسلم
قد كنت أهذل قبل يومك من بكى	فالיום لي عجب من المتبسم
وأذود دمي أن يبيل محاجرى	فالיום أعلمه بما لم يعلم
لا قلت بعدك للمدام كفكفى	من عبرة ولو أنى دمي من دمي
إن ابن موسى والبقاء إلى مدى	أعطى القياد بمارن لم يحطم
وهى أكثر من تسعين بيتاً .	

ورثاه أبو العلاء المعرى بقصيدة فذة جاء فيها	
أودى فليت الحادثات كفاف	مال المسيف وعنبر المحتاف
الطاهر الآباء والأبناء والـ	أثواب والآداب والآلاف

هلا دفنتم سيفه في قبره معه فذاك له خليل واف
يا لابس الدرع الذي هو تحتها بحر تلهم في قدیر صاف
فارقت دهرک ساخطا أفعاله وهو الجدير بثقة الانصاف

أما أخوه فهو علي المرتضى تولى تربية الطالبين بعد وفاة أخيه الرضى
وكان أديباً شاعراً وله تصانيف في فقه الشيعة وأصول الدين وقد وصفه
ابن بسام بقوله « كان هذا الشريف امام أئمة العراق بين الاختلاف
والاتفاق إليه فزع علماءؤها وعنه أخذ عظماءؤها » وكان المرتضى يقول الشعر .
وأم الشريف هي فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن عمر بن علي
ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . ملك جدها الحسن بلاد الديلم وقامت
بينه وبين ملوك الدولة السامانية حروب كثيرة . وتوفي بطبرستان سنة
٣٥٥ هـ

وكانت فاطمة تعنى بشؤون ولديها عناية عظيمة وتحرص على
تثقيفهما وتهذيبهما . ولقد روى أبو الحديد المتقدم ذكره أنها دخلت
يوماً المسجد إلى عبد الله محمد بن النعمان أحد فقهاء عصره وسأولها
جواربها وبين يديها ابناها محمد الرضى وعلي المرتضى وكانا صغيرين فقام
إليهما وسلم ثم قالت أيها الشيخ هذا ولداي قد أحضرتكما اليك لتعلمهما
الدين فتولى تعليمهما . ولقد توفيت في ذي الحجة سنة ٣٨٥ هـ فرثاها

ابنهما الرضى بقصيدة تيسيل العبرات نذكر منها .

أبكىك لو نغم الغليل بكائي وأقول لو ذهب المقال بدائي
وأعوذ بالصبر الجميل تهزياً لو كان بالصبر الجميل هزائى
طوارتك أثرتني الموم وتارة آوى الى أ كرومى وحيائى
كم عبرة نهنتها بأناملى وسترتها متجملا بردائى
أبدى التجلد للعدو ولو درى بتماملى لقد استغنى أعدائى
فارقت فيك تماسكى وتجملى ونسيت فيك تمرزى وابائى
ولا نعرف شيئاً عن زوجة الشريف ولا عن أولاده اللهم إلا ابنه
عبدان فانه تولى رقابة الفاطميين بعد وفاة عمه المرتضى . كما أننا لم نتوصل
الى شيء من أخبار أقاربه ولا نعرف الا شعرا قاله فى مدح خاله
ورثاء عمه .

وحسبنا أن نقول ان بيت الشريف من البيوت العريقة التى جمعت
بين شرف الحسب وشرف العلم ونالت عند ملوك آل بويه وخلفاء بنى
العباس مكانة رفيعة ومنزلة سامية ودرجة عالية وهى جديرة بما نالت
خلقة بما كسبت .

نسبه

(۱)

الشریف الرضی هو أبو الحسن بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب جد النبي . ثم اختلف المؤرخون فيمن بين عدنان واسماعيل . والحق أننا نعلم التاريخ اذا ذهبنا إلى ما يذهب اليه المؤرخون دون أن نفكر تفكيراً دقيقاً ونبحث بحثاً عميقاً غير متأثرين بعقيدة أو مذهب . ولكي نقدم للقارئ حكماً صحيحاً بعيداً عن السفسة الدينية كل البعد يجب علينا أن نضم هذه القضية أمامنا كما رواها مؤرخو العرب ومن سماهم من كتب كتاب العصر الحاضر ثم نبدي ما يهنا لنا من اعتراضات وملاحظات .

(۱)

زعموا أن إبراهيم لما فشل في هداية قومه فر إلى فلسطين مستصحباً معه زوجته سارة . ومن فلسطين ارتحل إلى مصر وبها يومئذ ملوك

الهُوكوس . وكانت سارة جميلة . وكان الملوك الهوكوس يأخذون
الجميلات المتزوجات فأظهر ابراهيم أن سارة أُخته خشية أن يقتله الملك
ليأخذها زوجاً له
الاعتراض :

نحن لا نستطيع أن نصدق ما رواه المؤرخون بهذا الصدد بل نراه
أشبه بالأساطير منه بالتاريخ الصحيح .
(٢)

ثم ردوا أن الملك أراد أن يتخذ سارة زوجة له فرأى في المنام
أنها ذات بعل فردّها الى ابراهيم بعد أن عاتبه وأعطاه هدايا من بينها
جارية تدعى هاجر ولما كانت سارة قد سلخت السنين الطوال مع ابراهيم
ولم تلد ؛ دفعته ليدخل بها هاجر فدخل بها فلم تبطيء أن حملت وولدت له
إسماعيل . وبعد أن شب وترعرع حملت سارة وولدت له اسحاق .
ونحن لا نستطيع أن نطمئن الى هذا القول

۳

ثم ذكروا أن اسحاق قد شب وترعرع الى جانب اسماعيل وتساوى
عطف الأب على الاثنين فاغضب ذلك سارة لأنها رأت أن هذه التسوية
بين ابنها وابن هاجر أمتها غير لائقة بها . وأقسمت ألا تساكن هاجر
ولا ابنها حين رأت اسماعيل يضرب أخاه . وأحس ابراهيم أن العيش
لا يطيب له وهاتان المرأتان في مكان واحد فذهب بهاجر وابنها ميما
شطر الجنوب حتى وصل الى الوادي الذي تقوم به مكة اليوم . وترك
اسماعيل وأمه وترك لهما بعض ما يتبلغان به . واتخذت هاجر عريشا
أوت اليه مع ابنها وعاد ابراهيم من حيث أتى .

الاعتراضات :

مامعنى ذهاب ابراهيم بابنه الصغير وأمه هاجر الى واد سحيق قفر
صحراوي لا ماء فيه ولا نبات ولا عمران ؟؟؟ هل أراد أن يهلكهما
فقدف بهما الى هذه الصحراء المحرقة ؟؟؟ كيف رضی ابراهيم أن يحمل
زوجہ وابنه وفلذة كبده ويذهب بهما الى هذه الصحراء التي لا عيش فيها
ولا ماء ولا سكن ولا زرع ولا عمران ويتركهما في الحر الشديد والشمس
المحرقة صيفا وفي البرد القارس شتاء يعانيان آلام الجوع والعطش ويذهب

هو من حيث أتى ليعيش مع زوجته الأولى في سعادة وهناءة ؟؟؟ وهل بلغت القسوة بإبراهيم مبلغها فقذف بابنه الصغير الى جوف هذه الفلاة ؟ وكيف أمن اعتداء الناس على عرض زوجته هاجر وقد كانت في ريمان شبابها ؟؟؟ وهل ضاقت فلسطين حتى أن إبراهيم لم يجد أمامه مكانا صالحا لاسكان هاجر وابنها اسماعيل فذهب إلى هذا الوادي البعيد ؟؟؟ ولم لم يسكنه بالقرب منه ويجعل له بيتا يعيش فيه هو وأمه بدلا من أن يذهب بهما الى هذه الصحراء المحرقة ؟؟؟ ان إبراهيم أرأف من أن يعمل مثل هذا العمل وأرحم بابنه الصغير من أن يقسيه الى هذه الصحراء الجرداء .

ثم قالوا إن إبراهيم ترك ابنه اسماعيل وأمه ومعهما ما يتبلغان به من زاد . ولنا أن نسأل هل يموتان جوعا اذا نفذ منهما هذا الزاد ؟؟؟ وكيف يتركهما على صخرة دون مسكن يأويان اليه ؟؟؟ ألا يتحرك قلب إبراهيم لمثل هذا الأمر ؟؟؟ ألا يشفق بابنه الصغير فيتركه دون مسكن وبغير قوت ؟؟ مثل هذه الأسئلة نلقيها على أنفسنا ولا نستطيع أن نجيب عنها . وهجرتنا عن الاجابة عنها اجابة يقبلها العقل ويؤيدها المنطق يجعلنا نشك في أمر هذه القصة .

إن الذي يقبله العقل هو أن إبراهيم أسكن ابنه في فلسطين على مصافة غير بعيدة منه . وكان يتردد عليه لزيارته هو وأمه . ثم إنه من

المعقول ان اسماعیل تزوج وخلف اولاداً أخذوا یتکاثرون . بحرور الرمن
وأن هؤلاء الابناء كانوا یسكنون فی جنوب فلسطين ثم انهم كانوا یشتغلون
بنقل البضائع وحراسة القوافل وربما اشتغلوا بالتجارة . وكانوا یرحلون
الی مكة فاختلطوا بالعرب واندمجوا فیهم بعد أن تزوجوا منهم وأصبحوا
بعضی الايام عرباً فی عاداتهم وأخلاقهم وطباعهم ولغتهم ودينهم . وهذا
هو الحق الذی لا ریب فیہ وما عداہ فهو باطل .

لامرية فی أن بسطاء الأحمال من الناس سیفرقون عند ما یصلون
بهذه الحقیقة . ولکی نخفف من فرقهم ونقلل من روعهم نقول : —
ورد فی القرآن مانصه « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملین
علیہا والمؤلفة قلوبہم الخ ... » وكان النبی ینفذ ما جاء فی هذه الآیة
فیعطی « مؤلفة القلوب » أي الضعفاء فی الايمان شیئاً من المال . وبقى
كذلك حتی وفاته : فلما كانت خلافة أبي بكر طلب « مؤلفة القلوب »
إعطائهم ما كان مخصصاً لهم حسب ما ورد فی القرآن . وفعلوا حصولاً علی
أمر أبي بكر فی دفعه لهم كتابة . وذهبوا الی عمر ابن الخطاب الذی
كان کوزیر له . فلما قرأ عمر هذا الأمر مزقه وقال فی مقام التعلیل
« إن رسول الله كان یعطیکم هذا المال لیقر بکم من الاسلام ویزیل به
شركکم وفسادکم عن المساکین . والیوم وقد أعز الله دینه وأعلا شوکته

ولم يبق من حاجة اليكم وإلى تأليف قلوبكم . ان ثبتتم في الاسلام ثبتتم وإلا
فليس بيننا وبينكم إلا السيف » ولم يعطهم شيئاً .

فظاهر هنا أن عمراً قد خالف ما جاء في القرآن كما خالف ما أقره
النبي في حياته . على أننا لا نريد أن نذكر ذلك إنما نريد أن نذكر
شيئاً أهم من هذا بكثير . نريد أن نقول إن الاسلام قد استخدم المال
كوسيلة لكسب الانصار والأعوان وجلب الأشباع والأتباع . فذا من
المعقول جداً ان يستخدم الاسلام غير هذه الوسيلة لنفس الغرض .
وقد حدث ذلك فعلاً . فابتدعت قصص كثيرة وردت في القرآن بغير
حساب . ومن هذه القصص ما يدور حول ذهاب اسماعيل إلى مكة
 وإقامته بها . وقد سبق أن ناقشنا هذا الرأي مناقشة منطقية فاتضح
فماده لكل من ألقى السمع وهو شهيد .

وإذا كانت عادة إعطاء « المؤلفة قلوبهم » قد وجدت من يبطلها
فإن البحوث التاريخية التي وردت في القرآن لم تجد من يبطلها ويردها
إلى حقيقتها . فلا خير اذا على الاسلام والمسلمين إن نحن حاولنا ذلك

(ب)

قريش

قبيلة من قبائل العرب كانت تعيش عيشة عادية تشغل بالتجارة
ونقل البضائع وحراسة القوافل . وكانت مكة تحت حكم الجرهميين .
وهولاء انغمسوا في الترف والنعيم فضعف أمرهم فقامت خزاعة وهي
من أكبر قبائل العرب وأعظمها إذ ذاك واستولت على مقاليد الحكم
في مكة فهرب الجرهميون وتبعهم الأسماعيليون . وبقي أمر مكة في
في يد خزاعة إلى أن انتزعه منهم قصي ابن كلاب وهو الجسد الخامس
للنبي .

وقد كان قصي رجل جسد ونشاط وعمل متواصل لذلك ما لبث أن
أثرى ثراء عظيماً من اشتغاله بالتجارة . وكانت سدانة مكة في خزاعة
لحليل ابن حبشية وكان رجلاً ثاقب النظر حسم التقدير فما ابطأ حين
طلب قصي يد بنته حبشي أن رحب به وزوجه منها . ومات حليل بعد
أن أوصى بمفتاح الكعبة لحبشي زوجة قصي ولكن هذه اعتذرت عن
ذلك وجعلت المفتاح لابن غبشان الخزاعي وكان هذا سكيراً فأعوزته

الشراب يوما فباع مفتاح الكعبة قصيا بزر من الفخر . وهنا كادت الحرب أن تقع بين خزاعة وقريش فاستعمل قصي ماله من نفوذ وجاء وجهع العرب حوله وبذلك تمكن من طرد خزاعة واستقل بالامر وحده وكان عبد الدار أكبر أبناء قصي لذلك خلف أباه في الأشراف على الكعبة ثم أعقبه أبناءؤه من بعده . ولكن الحسد قد دب بين أبناء الأعمام فأجهم بنو عبد مناف وهم هاشم وعبد شمس والمطلب وفوفل على أن يقتصبوا ما بأيدي أبناء عمهم . وانقسمت قريش الى قسمين : قسم يؤيد أبناء عبد الدار وقسم يؤيد أبناء عبد مناف . وأوشكت الحرب أن تقوم بين الطرفين لولا أن ركن الناس الى الصلح على أن يأخذ بنو عبد مناف السقاية والرفادة وأن تبقى الحجابة والندوة والدواء لبني عبد الدار ورضى الفريقان بذلك .

وكان هاشم كبيرا في قومه وكان رجلا غنيا فولى السقاية والرفادة ويلاحظ أن قصيا هو أول من أوجد الرفادة وفرضها على قومه فكان يأخذ من كل منهم شيئا من المال ليمنعهم به طعاما يقدمه للفقراء من الحجاج ويسكن هاشم كريما جوادا وهو الذي سن رحلتى الشتاء والصيف . وظل هاشم تتقدم به الامن حتى مات فيخلفه أخوه المطلب . وترك هاشم ولدا صغيرا يسمى شيبة ظل مع أمه يثرب . ولما رحل المطلب الى يثرب أحضر الغلام ودخل به مكة فرآه القوم فظنوه عبدا اشتراه

المطلب فتصايحوا عبد المطلب عبد المطلب فغلب على الغلام هذا الاسم وعرف به بين الناس . وتولى عبد المطلب السقاية والرفادة بعبد عمه المطلب : ولما كانت السقاية من الأمور الشاقة التي تحتاج إلى عناء شديد وإلى عمال يحبون الماء من جهات مكة المختلفة ، فكر عبد المطلب في حفر بئر لازالت باقية حتى اليوم وهي المعروفة ببئر زمزم وتم له ما أراد . ثم تزوج فأنجب أولادا كثيرين منهم أبو طالب وهذا خلفه عليا وهو الجدة الأكبر في الإسلام لصاحبنا الشريف الرضى .

يتبين لنا من هذه الأسطر القليلة التي كتبناها عن القرشيين ما جبابته عليه نفوس هؤلاء القوم من الحسد وما كمن في قلوبهم من الحقد والبغضاء وما فطروا عليه من الكيد والفس والافانيه التي لا مثيل لها فلا ندش بعده ذلك اذا رأينا القرشيين أنفسهم يتهاككون على الخلافه عقب وفاة النبي . كل امرئ يريد لها لنفسه وكل فرد يرغب في الاستئثار بها دون سواه فنكمل بعضهم بالبعض الآخر أفظم تنكيل ومثل قويمهم بعضهم أشنع تمثيل وسيرى القارئ ذلك مفصلا في غير هذا المكان

على ابن أبي طالب

لما قتل عمر بن الخطاب انتخب عثمان ابن عفان للجلوس في كرسي
الخلافة . وكان انتخاب هذا الرجل الغرمية كبرى على المسلمين . فانه
ما كاد يتسلم عرش الخلافة حتى اعتزل اصحابه وأقصابهم عن مجلسه
وأعرض عن مشورتهم ولم يصغ لنصائحهم بل جمع حوله أقاربه من بني
أمية يهتدي بهديهم ويسير على هوائهم ويعمل برأيهم .

بدأ أعماله المشؤومة بعزل جميع الولاة الذين عينهم عمر وبعث الى
الامصار بأقاربه وذوى رحمه . وهؤلاء استبدوا بالامر ارتكبا على
قرايتهم للخليفة فضج العالم الاسلامي من جورهم وعسفهم وذهبت الوفود
الى مكة تلتئم من عثمان عزل هؤلاء الحكام . ولكن عثمان لم
ينظر في هذه الشكوى ولم يعطها العناية الكافية بل وعدهم بالنظر
وأخلف الوعد وكذب على الناس بوعدة إياهم بالنظر في شكواهم .

الناس يتألمون ويشكون من الضرائب الفادحة التي فرضها الحكام
عليهم ، يستصرخون ويستغيثون وعثمان نائم في بيته لا يرق ولا يرحم
ولا يلين ولا يشفق ولا يجد من دينه وازعاجه ولا من ضميره مؤنبا ولا
من شعوره مؤاخذا . ولما ضاق الناس ذرعا بهذا الرجل الأثافي أجمعوا
على قتله فأفلقوا في ذلك وذهب عثمان جزاء سياسته الخرقاء

بعد مقتل عثمان اجتمع فريق من المسلمين وبايعوا علياً . ولكن
هذا كان مريصاً على أن يبايعه طلحة ابن عبد الله والزبير ابن العوام
فأتمها كانوا من أجساد الناس بعده لهذا المنصب العظيم فتلك
طلحة فهدده الأشر النخعي وهو من أنصار علي - بضرب عنقه فأذعن
خوفاً وبايع بالرغم منه

لم يكن علي ابن أبي طالب بالرجل الذي يصلح لأن يكون خليفة
على المسلمين وذلك لأسباب كثيرة منها أنه كان مكروهاً من كثير من
الشخصيات البارزة . امتنع عن مبايعته طلحة ابن عبد الله المتقدم
ذكره والزبير ابن العوام وسعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر
وعائشه زوجة النبي . وتخلف عن البيعة من الأنصار حمان ابن ثابت
وكعب ابن مالك ومسلمة ابن مخلد وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسلمة
والنعمان ابن بشير وزيد ابن ثابت ورافع ابن خديج وفضالة ابن عبيد
وكعب ابن عمرة وكان هؤلاء يميلون إلى عثمان ابن عفان لما كان يسبقهم
عليهم من أموال .

وهرب قوم من أهل المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا نذكر منهم
 قدامة ابن مظعون وعبد الله ابن سلام والمغيرة ابن شعبة .
 فنستنتج من هذا أن عليا إدعى لنفسه الخلافة وهو كاذب في
 دعواه . وأسرع إلى صعود المنبر كمادة من سبقه من الخلفاء وألقى في
 الناس خطبة البيعة مع أن الدين يابغوه هم رهط قليل ممن لا قيمة لهم
 ولا أهمية .

ثم إن عليا افتتح أعماله بسياسة خرقاء تدل على جهل وقصر نظر .
 لقد بدأ بعزل الولاة الذين عينهم عثمان على الأمصار قبل أن تصل إليه
 البيعة . فكان هذا من أكبر العوامل التي أدت إلى فشله . ولقد نصحه
 بعض المخلصين له وحذره من عاقبة هذا العمل ولكن عليا أبى واستكبر
 وأصر على رأيه وأمعن في العناد واستبد بالأمر غاية الاستبداد ولم يصغ
 لنصائح أصحابه الأقربين فكانت النتيجة وبالا عليه وعلى أبنائه من بعده

كان علي ابن ابى طالب ضعيفا في ميدان السياسة ضعفا تاما . فلقد
 كان الرأي العام عنه منصرفا في العراق وفي مصر . ولم يكن له بالشام
 من الأنصار شيء يذكر ثم إن الرجل لا يعرف الخداع ولا المكر ولا
 الدهاء ولا غيره من الصفات التي يجب أن تتوفر في كل سياسي يريد أن
 يظفر بأمنيته ويصل إلى غايته من أقرب طريق . وكان من نتيجة هذا

الضعف أن قتل فی حربہ مع معاویة خلق کثیر من خیرة رجال المسلمین

ثم إن أصحاب علی الدین حاربوا معه لم یكونوا هلی رأی واحدا ولم یكونوا علی درجة من الاخلاص والحماس له بقدر ما كان علیه أهل الشام لمعاویة . فرأى انهم یمتنعون عن مواصلة القتال بعد أن كانوا علی وشك القبض علی معاویة وحاشبته ویخمدون بهذه الحيلة التي دبرها طم عمرو بن العاص وهي رفع المصاحف علی أسنة الرماح . ثم خرج علیه فریق آخر وهم المعروفون بالخواارج ، وحاربوه وقاتلوه قتالا شديدا . وأخيرا تفاقم علیه بقية جنده وأصدقاؤه فلم يطاوعوه فبدأ أراد رعم الخطب الكثيرة التي ألقاها عليهم وبقي كذلك حتی قتل سنة ٤٠ هـ . قتله ابن ملجم

ولم تكن لعلی ابن ابی طالب هيبة القائد ولم یكن مطدعا من جنده . ولما نحن نرى الرجل یدعو جنوده إلى مواصلة القتال فی موقعة صفین فیمتنعون عن ذلك ولا یلتفتون إلى صیحته ولا یرتجبون إلى ندائه

وما قاتل من شأن خلافة علی أنها قامت علی أیدی رجال ثوریین لا یمیلون إلى النظام ولا یرغبون فی الطاعة فكانوا یرون لهم فضلا علیه . ولقد ددوه بالقتل عندما رفض النعمان بهم ثم بدأ الجماعة أخرى أن هذا

التحكيم كفر فانصرفوا عنه وخرجوا عليه وقائلوه .

ثم لما دعاهم لمقاتلة معاوية تقاعسوا وتكاسلوا وأظهروا الجمود ثم إن أصحابه كانوا يضيقون عليه حتى في الرجل الذي اختاره في التحكيم فأنهم أرغموه على اختيار أبي موسى الأشعري وكان هذا على درجته كبيرة من السذاجة والتغفل . ومن خطبه التي تم على الغيظ الشديد والحزن العميق والسيخط البالغ حده على أنصاره قوله « يا أشباه الرجال ولا رجال ويأطعام الأحلام ويأعقول ربات الرجال . والله لقد أفسدتم على رأيي بالأمهين ولقد ملأتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأي له في الحرب »

كان علي ابن أبي طالب يرى أنه أحق بالخلافة من غيره لأنه ابن عم النبي . لذلك طالب بهذا الحق المزعوم منذ الساعة الأولى . لقد التقى العباس ابن عبد المطلب بعلي ابن أبي طالب فقال له « أبسط يدك أبايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ويبايعك أهل بيتك فأن هذا الأمر إذا كان لم يقال » إذا وقم تعذر تغييره » فقال علي (ومن يطلب هذا الأمر غيرنا ؟) .

ثم إنه لما بويع أبو بكر امتنع علي عن المبايعة لأنه كما قدمنا كان يريد أن يظفر بها فقال له أبو عبيدة ابن الجراح « يا ابن عم . إنك سيد بيت السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفةهم

بالأمور ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالا
فصل لأبي بكر هذا الأمر . فقال على « الله الله يامعشر المهاجرين .
لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور
بيوتكم وتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه فوالله يامعشر المهاجرين
لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت » ثم ما كان منه إلا أن حمل فاطمة
بنت رسول الله وهي نرجته على عاتقه وأخذ يطوف بها في مجالس الأنصار
تسألهم النصرة فكانوا يقولون هذا (يا بنت رسول الله قد مضت بيوتنا
لهذا الرجل .)

إن ادعاء علي ابن أبي طالب هذا لا يستند إلى شيء من الحق فما
كان محمد ماسكا ولا امبراطورا حتى يرثه أقرب الناس إليه إنما كان نبيا
والنبوة لا تورث . ولم يكن له إلا سلطان روحى على العرب ذهب بذهب
الرجل . وعلى ذلك فقول علي ابن أبي طالب (لا تخرجوا سلطان محمد
من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم) إن هو إلا مغالطة
في مغالطة .

ويجب ألا يغرب على الذهن أن قرابة الأنسان من النبى شيء وصلاحيته
للمحكم شيء آخر وربما يكون أحد الناس قريبا للنبي ولكنه لا يملك
من المواهب ما يجعله سياسيا فذا يفيد المجموع ببعد نظره وذكائه . أفنلزم
الناس على انتخاب من لا يفيدهم بدعوى هذه القرابة ضاربين صفحا عن
الاكفاء وذوى المواهب ؟؟

. . .

أما وقد بحثنا عن حق علي ابن أبي طالب في الخلافة وعن مبلغ
 قوة هذا الحق وفقدنا آراء على تنفيذها لا يدع مجالاً للشك أصبحتنا في
 غنى عن الرد على الشريف الرضي فيما كان يدعيه لجده من حقوق
 هضمت واعتدى عليها اعتداء لا نقره المدانة . قال الشريف
 ردوا تراث محمد ردوا ليس التقصيب لكم ولا البرد
 هل عرفت فيكم كفاطمة أم هل لكم كعبد جده
 نعم . أصبحتنا في غنى عن الرد على هذا القول بعد الذي غنمناه
 وعلى غيره ما يراه المطالع لشعر الشريف منبها بغير حساب .

. . .

ولما قتل علي تولى بعده ابنه الحسين ولكن هذا تنازل عن الخلافة
 لمعاوية ثم ما لبث أن مات فخلفه أخوه الحسين ثم قامت الحرب بينه
 وبين يزيد ابن معاوية . وكان الحسين كايه ضميماً في ميدان السياسة
 انخدع بأقوال أهل العراق ووعدوهم ناسياً غدرهم بوالده من قبل
 فيخرج من مكة قاصداً العراق في رهط قليل من أصحابه فبلغ خبر ذلك
 إلى والي بني أمية على العراق فصار إلى لقاءه في كتيبة من الجنود ودار
 القتال بين الفريقين فقتل الحسين واستشهد جميع من معه بعد أن ذاقوا
 العذاب الأليم ولم ينج من القتل إلا النساء وطفل صغير هو ذريح
 العابد بن واعتدى الجنود على النساء اعتداء شنيعاً وداسوا جثة الحسين

بأقدام الخيل وتركوها في الصحراء تأكلها الغربان وحملوا رأسه إلى الشام ووضعوها بين يدي يزيد الذي أخذ يضربها بقضيب من حديد كان في يده

...

كان لمقتل الحسين بكر بلا وقع سيء في نفوس فريق من المسلمين فحمدوا على بني أمية وتشيعوا له على وأولاده فحرفوا بالشيعة وقد اتقسم هؤلاء الشيعة إلى فرق كثيرة ذكرنا شيئاً منها عند الحديث عن الدين . ومن بين هذه الفرق الاثنا عشرية وإلى هذه الفرقة كان ينتمي الشریف الرضی



مشكلة الخلافة

لا أكون مسرفاً ولا مغالياً إذا قلت إن حالة الشرق قبل الإسلام كانت أحسن بكثير منها بعد ظهوره .

ربما بدا هذا القول غريباً عند الذين وضع التعصب الديني على أعينهم غشاوة من فوقها غشاوة وفي آذانهم وقراً . نعم ؛ ربما بدا هذا القول غريباً لهم ولأمثالهم ممن ينتقدون خائعين لأحكام الدين من غير تفكير في البحث الرشيد ولا إلمام بالموضوع مع التحقيق وما إلى ذلك من الدرس العميق الذي يتطلب الأحيطة بكل ناحية والنظر إلى ما يستتر خلف ظواهر الأشياء نظراً مجرداً عن الأغراض والعوائف خالصاً لوجه الحقيقة ولوجه الحقيقة وحدها .

ماجاهد أبو بكر حبا في الإسلام وحده وما حارب على في سبيل الإسلام وحده وما ضحى عمر في الدود عن الإسلام وحده وما كافح عثمان هيأه بالإسلام وحده . إنما كان لكل واحد من هؤلاء مطامع شخصية تستتر خلف هذا الجهاد المصطنع وهذا الكفاح المتكلف وهذا الانتصار الزائف وهذا الإخلاص المبني على غير أساس . نعم ، كانت تستتر خلف هذا الجهاد ووراء هذا الكفاح الأنانية والأثرة وحب الذات

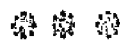
والرغبة في السلطان . فما كاد النبي ينتقل من هذه الدار حتى تفرق ثوبه
الرياء وافتكشفت الستار وظهرت حقيقة هؤلاء التورم الطامعين في الدنيا
وما فيها الراغبين في التسلط والحكم . واشتد الجدل بين الأنصار
والمهاجرين على الخلافة . فالأولون يدعون بأنهم أروا النبي ونصروه
وعزروه وأزروه وعلى ذلك فيجب أن تكون الخلافة لهم ولهم وحدهم
دون سواهم كئمن لهذا الانتصار .

والمهاجرون يذكرون أنهم أول من أسلم . وهم قبل كل شيء آل
النبي . حموه وهو بين الأعداء عكة واحتملوا في سبيل الدين كل عذاب
وكل اضطهاد وعلى ذلك فهم أولى الناس بالخلافة .
وكادت الحرب أن تقع بين الفريقين لولا أنهم لم يكونوا على استعداد
للقتل لما خاضوا من المعارك الكثيرة التي قامت في أيام النبي . فأقروا
السلام ومالوا إليه مؤقتا . وأجهم القوم على مبايعة أبي بكر فتم ذلك
وأصبح هذا خليفة للمسلمين .

وعنا وقف على ابن أبي طالب غضبان أسفا . أجل أنه يريد الخلافة
لنفسه دون سواه لأنه من آل البيت ولأنه ابن عم الرسول . وقبله
تكلمنا عن محاولة علي ابن أبي طالب في الحصول على هذا المنصب في
المقال السابق فلا داعي للتكرار الآن .

وما كان العرب براضين عن حكومة أبي بكر وفي ذلك يقول الشاعر
أطلعنا رسول الله ما كان بيننا فيا عباد الله ما لأبي بكر

أيورثها بكر إذا مات بعده . وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
أجل ، لقد شقت قبائل العرب عصا الطاعة وجاهرت بالعصيان
إلا أن أبا بكر تمكن من إخضاعها بحمد السيف . ثم ما لبث أن وجهه
أنظار العرب نحو الفزو والاستعمار .



وإذا كان لا بد من قول الحق فأنا نصح بأن الخلافة كانت ولا تزال
المصيبة العظمى والبلية الكبرى التي جلبت للشرقي والشرقيين كل عسر في المصا
وأنواع البؤس : والقاريخ أكبر شامة على صفة ما نقر . فما إذا خليفة
الثالث يقتل جزاء سياسته الخرقاء حتى انقسم المسلمون إلى قسمين قسم
يزيد عليا وقسم يزيد معاوية : واشتد القتال بين الفريقين وطالت
الحرب فهلك من المسلمين خلق كثير . ثم أنه لما تولى يزيد ابن معاوية
سير جيوشه إلى المدينة فدخلها وقتلت من فيها فتسكا ذريعا . ثم سارت
هذه الجيوش إلى مكة فحاصرتها شديدا وضربت الكعبة
بالجانيق فتصدعت جدرانها واحترقت ثياب الكعبة كما احترق الضريح
النبي . ويرى الجنود النيران مشتعلة فيها لون وينشدون

خطارة مثل القتيق الأزبد فرحى بها أعواد هذا المسجد
ودخل الجيش مكة وأحبل السيف في رقاب أهلها فقتل الرجال
واعتدى على أعراض النساء اعتداء شنيعا . كل هذا يزيد أمن في
قصره بين السكاس والطاش يرتع في الذم ويمتنع بما للذ وطاب

وحدث في أيام عبد الملك ابن مروان ما حدث في عهد يزيد . فقد
ولى الحجاج على مكة والمدينة فذهب ههنا ونكل بمن فيها تنكيلا
شديدا وبطش بهم بطشا فظيما واعتدى على المسلمين بالقتل والسجن

ثم جاء دور بني العباس . وأقبل عهد السفاح وما سمي كذلك إلا
لكثرة ما استباح من دماء المسلمين وما سفك من دماء المسلمين وما
هدر من دماء المسلمين .

اعتدى العباسيون على الأمويين وأقارب الأمويين وأنصار الأمويين
اعتداء لم يشهد التاريخ له مثيلا . ومن أمثلة ذلك أن السفاح دعى فريقا
من بني أمية وأظهر لهم الصفح والعفو . ودعاهم إلى مائدته ليتناولوا
الطعام وبيناهم كذلك إذ دخل أحد الشعراء فأنشد هذين البيتين
لا يغرنك ما ترى من أناس أن تحت الضلوع داء دوبا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

وسرعان ما أمر السفاح عبده فاعماو السيوف في رقاب الأمويين وكانوا
يزيدون على التسعين . وأشار على الخدم ففرشوا الأشرطة الفاخرة
فوق هؤلاء القتلى ومنهم من هو في حالة الاحتضار وجلس السفاح هو
وحاشيته على هذه الجثث يأكل وهو مطمئن البال مرتاح الضمير وأنين
القتلى لا يزال مرتفعا ومسموعا . ثم أمر بنهب قبور بني أمية فاستخرجت
جثة معاوية وفتح قبر ابنه يزيد وكذلك قبر عبد الملك ابن مروان . كما

استخرجوا جثة هشام ابن عبد الملك وأحرقوا هذه الجثة . وتتهم
العباسيون الأمويين حتى قنعوا عليهم قضاءا تاما ومن ذلك أن السفاح
أمر عامله على المدينة بقتل من فيها من الأمويين فما كان من الوالى
إلا أن قبض عليهم وأمر بذبحهم فذبحوا وجرت جثثهم فى الشوارع
والطرق ثم تركوا على قارعة احدى الطرق فأكلتهم الكلاب .

هذه صورة بشعة تمثل لنا ما كان عليه المسلمون من وحشية
وهمجية نجزم بأننا لا نجد لها مثيلا فى تاريخ العصر الجاهلى ولو أردنا
أن نسرد من أمثال هذه الصورة لضاق بنا هذا الكتاب فنكتفى بالوقوف
عند هذا الحد

وقد كان من الشائم بادية ذى بدىء أن الخلافة شورى بين المسلمين
وأن المسلمين وحدهم هم الذين ينتخبون الخليفة . وفى ذلك يقول
الشاعر مخاطبا عمر ابن الخطاب

أنت الامام الذى من بعد صاحبه القى اليك مقاليد النهى للبشر
لم يؤثروك بها اذ قدموك لها لكن لا تقسمهم كانت بك الأثر
ولكن لما تولى معاوية أصبحت الخلافة وراثية يرثها الابن الأكبر
فالأبن الأكبر . وبطلت الشورى وأصبحت أسمية فقط . ونحن نرى
أن معاوية لما أراد أن يأخذ البيعة ليزيد ذهب الى المسجد . وهناك

وقف أحد الدعاة فقال : هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى معاوية
فإن هلك فهذا وأشار بيده الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار بيده الى سيفه

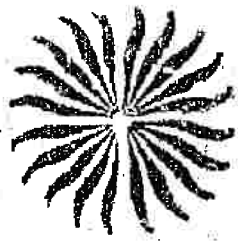
...

ولقد زاد اعتقاد العرب في الخليفة على مر الأيام . فراءوا أنه يستمد
أمره من الله وأن طاعته من طاعة الله وفي ذلك يقول الشاعر
أخى الخلافة أو كانت له قدرا كما آتى ربه موسى على قدر
وكان لشيوع هذه الآراء وانتشارها أثر عظيم في نفوس الشعراء
الذين خلعوا على الخلفاء صفات الآلهة التي تسمي الحكون كما تشتهي
وتحب . قال ابن هانيء الأندلسي يمدح الممزر لدين الله الخليفة الفاطمي
ما شئت لأما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار
وكانما أنت النبي محمد وكانما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الأخبار والأخبار

...

ذكرنا أن الخلافة كانت شؤنا على الشرق والشرقيين وذلك لأن
الخلفاء استعملوا الدين في كل شيء يعود عليهم بالخير والمنفعة . فباسم
الدين استعملوا بالشعوب وباسم الدين أذلوا الشعوب وباسم الدين
ضيقوا على الشعوب وحرموها كل حرية وكل استقلال .
ولقد أحسن مصطفى كمال رعب تركيا الحديثة بقضائه على هذا الأثر
البعال والطال الدارس الذي لا محل لوجوده في عصر النور والعرفان

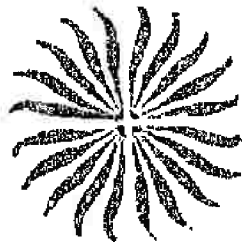
هذه كلمة قدمناها عن الخلافة التي كانت منتهى آمال الشريف
 الرضى وأقصى أمانيه . صبت اليها نفسه وسال عليها لعابه فعاش ينشدها
 ويعنى النفس بها ويعمل الخاطر بقرب الظفر بها . قال :
 وأظن نفسي سوف تحماني على الأمر الأشد
 حتى أرى متمسكا شرق العلى والغرب وحدي



مولى الشريف الرضى

ولد الشريف الرضى سنة ٢٨٥ هـ ببغداد فى بيت والده . وكان ذلك فى عصر المظفر بالله الخليفة العباسى . وسمى محمداً وكنى أبا الحسن . أما ألقابه فكثيرة أشهرها ما لقبه به بهاء الدولة وهو الرضى ذو الحسين . ويعرف بالشريف الموسوى نسبة الى أحد أجداده وهو موسى الرضا ابن جعفر الصادق .

وما هو جدير بالذكر أن العرب أخذوا يدخلون الألقاب الفخمة على أسمائهم منذ قيام الدولة العباسية . ومثال ذلك الصفاح والمنصور والرشد والرضى . وهذه عادة فارسية اقتبسها العرب فيما اقتبسوه من الفرس .



طفولته

إنه وإن كانت كتب التاريخ لا تسعنا بكثير أو قليل عن طفولة الشريف الرضى إلا أننا نستطيع أن نؤكد للقارئ أن صاحبنا قضى أيام طفولته كما يقضيها أبناء الأغنياء والموسرين . فقد كان والده كما ذكرنا سفيرا بين الخلفاء من بنى العباس والملوك من بنى بويه . ورسول سلام بين آل بويه أنفسهم . ومثل هذا الرجل لا بد أن تتوفر لديه أسباب الحياة ومظاهر الترف والنعيم . لذلك لا نعدو الصواب إذا قلنا إن الشريف ولد في ساحة عز ورخاء وعاش أيامه الأولى في سعادة وهناءة

ويلاحظ المرء أن الشريف الرضى كان راغبا عن الشهوات ، مبتعدا عن اللذات ، طموحا إلى المعالي . وهذا يدلنا على سمو الوسط الذي درج فيه ورقى البيئة التي نشأ بها وتغذى بآياتها في الأعوام الأولى من عمره . قال وهو في العاشرة من سنى حياته

المجدد يعلم أن المجدد من أربى	وإن تماديت في غي وفي لعب
إني لمن معشر إن هموا لعلى	تفرقوا عن نبي أو وصى نبي
إذا هممت ففتش عن شباهمى	تجدد في مهجات الأبحم الشهب
وإن حزمت فعزمى يستحيل قذى	تدهى مسالكه في أعين النوب

نقول حسب القارئ أن يمر على هذه الأبيات التي نظمها صاحبنا وهو بعد في العاشرة من عمره ليعلم مقدار تأثير البيئة التي نبت فيها الرجل على نفسه وعلى عقليته وعلى تفكيره

ثقافتہ و قہلی بیہ

للمسامین طريقة خاصة مازالت باقية حتى اليوم في تثقيف أبنائهم .
فهم يبدأون بتلقيهم القرآن . يحفظونهم إياه عن ظاهر قلب . فالغلمان
مكلفون باستظهار ما يقرر عليهم كل صباح . وويل لمن يذهب الى المكتب
دون أن يحفظ ما قرر عليه . هنالك ينهال الفقيه عليه بالسوط دون رحمة
أو شفقة .

وجريا وراء هذه العادة بدأ الشريف الرضی ثقافته بان قرأ القرآن
على أبي اسحاق ابراهيم الطبري وهو حدث . ثم أعاد حفظه بعد أن
تخطى هذه السن .

وكانت أم الشريف تعنى بشؤون ابنائها عناية فائقة وتهتم بتثقيفهما
وتهذيبهما منذ حداثةتهما . فقد روى ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة
أنها دخلت يوما المسجد الى أبي عبد الله محمد ابن النعمان الفقيه الامامی
وحولها جواردها وبين يديها أبنائها الرضی والمرتضى فقام اليها وسلم
فقالت أيها الشيخ هذا ولداي قد أحضرتكما اليك لتعلمهما الفقه فتولى
تعليمهما . وذكر ابن جنی ان الشريف الرضی احضر الى ابن السیرافي
النحوي المشهور فتلقى عنه علم النحو

وكانت بين صاحبنا وبين ابن جنی صداقة متينة فقرأ عليه طويلا
واستفاد منه كثيرا في علم النحو والبلاغة والادب وتقد الشعر وتحليله

ولما مات ابن جنى صلى عليه الشريف وشهد دفنه ورثاء بقصيدة يجدها
الباحث مثبتة في ديوانه

ونستنتج من دراستنا لشعره أنه درس تاريخ عظماء المسلمين ووقف
على كثير من اخبارهم وبخاصة زعماء الطالبين أمثال الحسن والحسين
كانستنتج أن صاحبنا قد درس أدب من تقدمه بعناية فائقة وحفظ كثيرا
من شعر من سبقه من الشعراء فنسج على منوالهم فيما نظم

غير أن الشريف الرضى لم يعم بدراسة التلمذة مع انتشارها في عصره
انتشارا كبيرا وظهور كثير من عظماء التلمذة أمثال الرضا بن الحسين
والمرى وذيوها على السنة السكتاب والشعراء أمثال المرى والمثنى

بعض أساتذته

- ابن جنى -

هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى المشهور . كان من أئمة اللغة . أخذ الأدب عن الشيخ أبى على الفارسى ثم زاول التدريس بالموصل ورحل الى بغداد . وقد وصفه الثعالبي بقوله « هو القطب فى لسان العرب واليه انتهت الرئاسة فى الأدب . وصحب أبا الطيب دهرًا طويلاً شرح شعره ونبه على معانيه وأعرابه . »
كان أبوه جنى مملوكًا روميا سليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلى ومن مؤلفاته .

١ - كتاب الخصائص وسر الصناعة

٢ - المذكر والمؤنت والمقصود والممدود

٣ - التمام فى شرح شعر الهزليين

٤ - مختصر فى العروض

٥ - مختصر فى القوافى

٦ - شرح ديوان المتنبي

وكان بن جنى يقول الشعر . وقد مدحه الشريف الرضى بقصيدة مطلعها
أراقب من طيف الحبيب وصالا

ويأبى خيال أن يزور خيالاً

توفي سنة ٣٩٢ هـ ببغداد ووصل عليه الشريف الرضي كما أسلفنا وحضر

دفنه ورثاه بقصيدة مطلعها

ألا يا قومي لا خطوب الطوارق

وللعظم يرمى كل يوم بمسارق

وللدهر يرمى جانبي من أقارني

ويقطع ما بيني وبين الأصدقاء

— ابن السيرافي —

هو أبو محمد يوسف ابن أبي سعيد السيرافي . أصله من سيراف

وهي مدينة ببلاد فارس خرج منها جماعة من العلماء والأدباء .

كان عالماً في النحو واللغة . باشر التدريس ببغداد وعليه تلقى الشريف

الرضي علم النحو . وللسيرافي مؤلفات قيمة في علم النحو واللغة والأخبار

توفي سنة ٣٨٥ هـ وعمره أكثر من خمسين عاماً .

وقد رثاه صاحبنا بقصيدة نذكر منها

يا يوسف ابن ابن سعيد دعوة

أوحى اليك بها ضمير هو جسم

إن الفجائع بالرجال كثيرة

ولقل من يرعى ومن يتفجع

لما رأيت الناس بمدك نكبوا

سنت الحفاظ ففادر ومضجع

قرطاست في غرض الوفاء بقولة

لاكون بمدك حافظا ماضعوا

تصرفه وعمله

ولى الشريف نقابة الطالبين وهى رئاسة آل البيت العاوى والحكم
فيهم أجمعين مستقلين عن طبقات الامة الاسلامية .
كان نقيباً فى بغداد أولاً . ثم جعله بنوبويه نقيباً للطالبين فى بلاد
فارس بأجمعها . وكان يضم الى ذلك العمل المظالم والحقم بالناس
وهذه الاعمال كان يتولاها والده الطاهر ثم تنازل عنها لابنه الرضى
مع أنه كان أصغر من أخيه المرتضى لأن هذا قد شغل بالعلم عن الحكم
ولأن الرضى كان يعنى نفسه بالخلافة . وكان والده يخشى ان ينقم عليه
الغلاة العباسيون علو همته فيسند اليه هذه الاعمال ليشغله بها عن
التفكير فى أمر الخلافة وليسكن خاطره الثأر ويخفف من حدته وغليانه
قال الشريف

ولى النقابة خال أمى قبل ثم أبى وجدى
ووليتها طفلاً فهل مجد يعدد مثل مجدى

ولكنه برم بها فردها إلى والده الذى توفى سنة ٤٠٠ هـ فاضطر
صاحبنا الى القيام بأعبائها وبقي كذلك حتى مات سنة ٤٠٦ هـ فتولاها
من بعده أخوه المرتضى .

وقد اتخذ الشريف فى أيام حياته داراً سماها « دار العلم » وكان
يختص به هذه الدار طلبة العلم الملازمون له . وقد عين لهم جميع ما يحتاجون

اليه . فكان بهيمة الدار خزانة كبيرة لها مفاتيح كثيرة لكل طالب مفتاح خاص يفتح به الخزانة في اى وقت شاء ويأخذ ما يريد دون حسيب أو رقيب

ثم إن صاحبنا كان يصرف كثيرا من وقته في وضع الكتب وتاليف الرسائل ونظم القصائد الطويلة . فقد ترك أكثر من عشرة مؤلفات من بينها ديوان شعره الضخم وكتاب نهج البلاغة .

مذبه

كان لمقتل علي بن أبي طالب وابنه الحسين من بعده أثر سي في نفس فريق من المسلمين فتشيعوا لآل علي وهؤلاء هم الشيعة . ومن رأى هذا الفريق أن الخلافة في بيت علي . وقد اجتهد الشيعة في اختلاق الاحاديث التي تؤيد رأيهم وتعضد مذهبهم . وكانوا يذهبون الى أن الخلافة ليست قضية مصلحة تناط باختيار العامة إنما هي قضية أصولية وهذا مذهب سياسي كما ترى لأنه يتفق بنظام الحكم .

وقد انقسم الشيعة من بادي الامر الى فريقين .

١ — فرقة رأت أن الخلافة في أولاد علي مطلقاً فجعلت بعد الحسين أخاه محمداً بن الحنفية فلما مات هذا انقسم أتباعه الى حزبين

(أ) حزب اعتقد بعدم وفاته وقال بأنه موجود في جبل من الجبال وبجواره بر من عسل وآخر من ماء ومعه اسد وعمر يحرسانه . وكان هذا الحزب يدين بوجعة محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الشيعة الغالية .

(ب) وحزب آمن بوفاته فولى ابنه أبا هاشم بن محمد وهو الذي توفي بالحمية من بلاد الشام عند أبناء عمه العباسيين ونزل لهم عن الخلافة بعد أن أوصاهم بالشيعة خيراً .

وهذان الحزبان ينضمان تحت اسم واحد وهو الشيعة الكيسانية : والذي وضع مذهب الشيعة الكيسانية هو المختار بن أبي عبيد الثقفي

الذي قام بثأر الحسين من علي وقتل أكثر الذي اشتركوا في قتله بكر بلاء
 قيل انه أخذ مذهبه من مولى لعلي بن أبي طالب اسمه كيسان وقيل
 كيسان هذا لقبه .

٣ - ورأت فرقة أخرى أن الخلافة في أولاد علي من فاطمة وأن
 الامام مسين بالنص . وقد اتقسم أفراد هذه الفرقة الى قسمين
 (ا) فالتقسم الاول كان يرى أن الامام منصوص عليه بالوصف . وأن
 الخلافة حقي لكل فاطمي موصوف بالعلم والشجاعة والكرم والتقوى
 وهؤلاء هم الزيدية الذين أسسوا لهم دولة علوية في طبرستان ومنهم أجداد
 الشريف الرضي لأمه . والزيدية باقية باليمن حتى العصر الحاضر .

« ب » أما التقسم الثاني فكان يرى أن الامام منصرف عليه بالاسم
 ويذهبون الى ان الخلافة في اولاد الحسين فيجعلون بعده ابنه عليا زين
 العابدين ثم أبناء من بعده . وهؤلاء هم الامامية الاثنا عشرية . والى
 هـ . لنا الحزب . كان نقم صاحبنا بل أنه لأحد زعمائه الذين يشار اليهم
 بالبنان .

ومن معتقدات هذا الحزب أن الامام متصف بكل وصف كان
 يقتضيه به النبي من كونه أمين الله وهادي الخلق ووارث الارض وشفيع
 الناس . فهو مشارك للنبي في كل فضيلة الا في الرسالة . وفي ذلك يقول
 الشاعر

هذا أمين الله بين عباده وبلاده ان عدت الامنياء

هذا الشفيح لامة يأتي بها وجدوده لجودها شفعا
 ومن معتقداته ان الامام حائر لشرف العصمة مثل النبي لا يصدر
 منه خطأ ولا تبك ومنه زلة لانه ملهم من الله بأعظم درجات الالهام ومؤيد
 منه بأكبر حدود التأييد . وفي ذلك يقول الشاعر
 مؤيد باختيار الله يصحبه وليس فيما أراه الله من خلل

حسانه

عاني الشريف الرضي كثيرا من كيد حاسديه الذين ما كانوا يتركون
فرصة تمر دون أن يدسوا للرجل ويوقعوا بينه وبين ملوك آل بويه
والخلفاء العباسيين . ومن أمثلة ذلك أن صاحبنا كان بقرض قصائد المديح
ويبعث بها الى من قيلت فيهم . وجريا وراء هذه المادة نظم الشريف
قصيدة في مدح بهاء الدولة وبعث إليه بها . فانتهز أعداؤه فرصة وجودهم
لدى بهاء الدولة وأخبروه بأن الشريف اعتاد أن ينشد قصائده للخلفاء وإنه
تكبر عن إنشاد القصيدة التي قالها في بهاء الدولة فبعث بها إليه . وبلغ
ذلك الشريف الرضي فألمه الألم كله فكتب الى بهاء الدولة بهذه الابيات
جناني شجاع إن مدحت وإنما

لساني إن سيم النشيد جبان

وما ضر قوالا أطاع جنانه

إذا خانه عند الملوك لسان

ورب حبي في السلام وقلبه

وقاح اذا لف الجياد طعان

ورب وقاح الوجه يحمل كفه

أنامل لم يعرق بهن عنان

وفخر الفتى بالقول لا بنشيده

ويروي فلان مرة وفلان
 وبلغ الشريف الرضي أن قوما اجتمعوا بداراً أحداً صدقائه وتكلموا
 في حقه بما لا يحب وأجروا ألسنتهم بشيء من القدح فبعث إلى صديقه هذا
 بقصيدة يذكر منها

مارقع الواشون في ولفقوا
 قل لي فأما حاسد أو مشفق
 في كل يوم ظهر داري مضرب
 لكلامهم وجبين دارك مشرق
 من كان يفتاب الرجال وهم أن
 يباو الأصادق فالصديق المطرق
 جار الزمان فلا صديق يرتجى
 للنائبات ولا صديق يشفق
 وطني على فكل رعب ضيق
 إن قلت فيه وكل حبل يخنق

تفصیله

لیس من العسیر علینا أن نفهم نفسیه الشریف الرضی إذا نحن ذهبنا
نظام ما حواه دیوانه قصیده قصیده . ف شعر الرجل مرآة صادقة لما كانت
علیه تمصیته من حب للطموح وعشق للمعالي ومیل الرفع والسمو ورغبة
عن الهزل وترفع عن سفساف الأمور . قال : -
لغير العلامی القلی والتجنب
ولولا العلاما كنت فی الحب أرغب

وقال

وأعرض عن كأس النديم كأنها
وميض غمام غائر المزن خلب
وقور فلا الألعان تأسر عز منی
ولا تمكر الصباء بی حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
ولا أنطق العوراء والقلب مغضب

كان الشریف الرضی ارستقراطیا بكل معنی الكلمة . يضم بین
جوانحه نفسا عظيمة ترى أنها لا تقل عن أي مخلوق يعيش حولها . انظر
إليه حين يخاطب الخليفة القادر بالله
عظما أمير المؤمنين فأنسا في دوحة العلياء لا تتفرق

ما بيننا يوم الفخار تماوت
 أبدا كلانا في المفاخر معرق
 الا الخلافه ميزتك قاني
 أنا عاطلي منها وأنت مطوق
 وحين يقول
 لي مهجة لا أرى لها عوضا غير بلوع الملا ولا ثمنا

آماله وامانيه

الشریف الرضی من نسل علی ابن ابی طالب وزعیم الشيعة الاثنا عشرية كما قد منا . فهو يريد الخلافة لنفسه ويرغب في ان يكون خليفة على المسلمين . لا يهدأ له بال ولا يسكن له خاطر ولا يحلو له عيش ولا تصفو له حياة الا اذا جلس على كرسی الخلافة
ولقد قرأ الشریف كثيراً من تاريخ أجداده ووقف على تفاصيل ما وقع على العلويين من ظلم واضطهاد ، لذلك كان هم الوحيد هو انتزاع الخلافة من أيدي العباسيين

...

وما شجع الشریف الرضی على الاستمرار في آماله ما رآه من ضعف الخلافة العباسية ضعفا تاما وما شاهده من انحلالها وذهاب نفوذها وسلطانها . وقد بينا ذلك عند الكلام عن الحالة السياسية .
وما شجعه كذلك أن آل بوية كانوا من غلاة الشيعة الذين يدينون بالولاء لآل علي . ويحدثنا التاريخ ان الملوک البويهيين كانوا يحرضون النساء على الخروج وعمل المناحات والبكاء والعويل في شوارع بغداد وطرقها في مثل اليوم الذي قتل فيه الحسين ابن علي من كل عام . وكان الشریف يرى ذلك بعيني رأسه فبتقوى أمه ويزداد تعلقا بالخلافة وجلالها

وكان للشریف الرضی أنصار كثیرون منهم ابو اسحاق الصابئ الذی
كان یزعم أن طالعم صاحبنا یدل سی أنه سیرقی حتما إلى هذا المنصب
الرфіع . وكانت تدور بینهما قصائد بهذا المعنی . ومثال ذلك قول ابی
اسحاق الصابئ وقد بعث به إلى الشریف .
أبا حسن لی فی الرجال فراسة

تعودت منها أن تقول فتصدقا
وقد خبرتني عنك أنك ماجد

سترقی من العلیاء أبعد مرتقی
فوفیتك التعظیم قبل أوانه

وقلت أطال الله للسید البقا
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها

إلی ان أرى إطلاقها لی مطلقا
فأن عشت أو أن مت فاذا كر بشارتی

وأوجب بها حقا عليك محققا
وكن لی فی الأولاد والاهل حافظا

إذا ما طمأن الجنب فی موضع البقا
فأجابه الشریف بقصيدة نذكر منها

سمنت لهذا الرمح غربا مذلقا
وأجريت فی ذا الهندواني رونقا

وسومت ذا الطرف الجواد وأما
 شرعت له نهجا نخب واعنقا
 لئن برقت مني مخايل عارض
 لمينيك يقضى ان وجود ويندقا
 فليس بساق قبل ربك مربعا

وليس براق قبل جودك مرتقى
 ثم ان ملوك آل بويه كانوا يمنونه بها ويمدون به بقرب صيروتها إليه
 فلا عجب ان سيطر حلم الخلافة على الرجل وماك عليه مشاعره وأصبح
 شبحها ماثلاً أمام عينيه في القومة والقعدة وفي المنام واليقظة وفي كل
 مكان يذهب إليه .

الخلافة . . الخلافة . . منصب الخلافة . . جلال الخلافة . . عظمة
 الخلافة . . مكانة الخلافة . . هيبة الخلافة . . سلطان الخلافة . . جاه
 الخلافة . . هذا هو ما كان يردده الشريف الرضى آناء الليل وأطراف
 النهار . قال

أرى تسمى تتوق إلى النجوم
 سألها على الخطير العظيم
 ولي أمل كهم لدر الرمح ماض
 سوى أن الليالي من خصومي
 ومالي همة إلا المعالي

وذب الضيم عن نسب صميم

لماذا فشل؟؟

ذكرنا عند الحديث عن الدين أن الناس في عصر الشريف الرضي كانوا يتخذون العقيدة وسيلة لتحقيق المطامع دنيال المآرب ، وبنيويهم كانوا من أئمة من يستثرون وراء الدين للوصول إلى أمانيتهم والظفر بحاجاتهم .

كانوا يشجعون العلويين ويتظاهرون بحب آل علي وهم غير صادقين والبويهيون قوم من الفرس أتاح لهم ضعف الخلافة العباسية فرصة الوصول إلى مناصب الحكم فلم يهتموا إلا بسعادة أنفسهم ولم يعمروا إلا بمصالح أنفسهم ولم يعبأوا إلا بشئون أنفسهم . قامت في الأرض خلافة أم لم تقم ، ذهب الاسلام أم بقي . كل ذلك هين وحقير في سبيل سعادتهم ورفاهيتهم .

ولقد رأينا في الفصل الأول أن عز الدولة بختيار أحد هؤلاء الملوك يلهو ويلعب في نواحي العراق بينما جيوش الروم تنزل بأهل الشام أشد أنواع العذاب وتأسر آلاف الفتيان والفتيات وترسلهم إلى جهات آسيا الصغرى حيث يحولون من الدين الاسلامي إلى الدين

المسیحی . ثم رأینا بختیار نفسه یرغم الخلیفة المطیع علی دفع أریهمائة ألف درهم ویأخذها وینفقها علی لذاته الخاصة . ورأینا بهاء الدولة یعوزہ المال فیعمد الی الخلیفة الطائع ویقبض علیه وینهب ما فی قصر الخلافة من ذهب وفضة وفراش وأثاث .

ومن ناحية أخرى رأینا عضد الدولة یقبض علی والد الشریف الرضی وهو زعیم العلویین وعلی عم الشریف ویرسلها إلی بلاد فارس حیث سجننا فی قلعة هناك بقیا فیها إلی أن مات عضد الدولة وخلفه ابنه شرف الدولة فأطلق سراحها واصطحبها معه حین قدم ببغداد . فلو کان البویهيون صادقین فیما یدعون من حب لآل علی لما تأخروا فی نقل الخلافة من العباسیین إلی الطالبيين . أجل ! لقد کان فی مقدورهم ذلك ولکنهم كما ذکرنا كانوا ینظرون إلی مصلحة أنفسهم قبل کل شیء . ومصلحتهم كانت تقضى عنهم بإبقاء الخلافة العباسیة لأنهم یستطیعون الاستفادة من ضعف العباسیین بینما لو آل الأمر إلی العلویین لكانت الخلافة الجديدة قوية الجانب عزیزة المسکان وربما یتعرض سلطان البویهيین للضياع .

ثم إن الشریف الرضی کان — فیما یظهر من شعره — یحلم بإعادة

الامبراطورية العربية إلى ما كانت عليه أيام مجدها وعزها . وهو قبل كل شيء عربي النزعة شديد التعصب للعرب والعربية فلو ولي الخلافة لكان هذا ضربة قاضية على نفوذ الترك والديلم علي السواء ولتقلص ظل البويهيين وأمثالهم ممن ظهوروا على أثر الانحلال الذي أصاب جسم الامبراطورية الاسلامية . وفي هذا ما يجعل بني بويه يعملون للشريف الرضى ألف حساب

وغريب من صاحبنا أن ينتظر من البويهيين أن يعينوه على تولى الخلافة مع ما عرف من ميله الشديد إلى إعادة مجد الامبراطورية الاسلامية . وذلك لأن البويهيين لم يظهروا ولم تقم لهم قائمة إلا بفضل ما أصاب الامبراطورية العربية من وهن وضعف وتفكك وانحلال فكأنه طلب منهم أن ينتحروا فأبوا .

وظل الرجل يضاجع الاحلام ويعرض الآمال مشغوفا بها لا يملك إلا لسانه وهيبات أن ينفع اللسان وحده في مثل هذه الظروف . إن الذين يطلبون المظان ويرغبون في الحكم لا أقل من أن يستعملوا الحيف وسيلة للوصول إلى غايتهم وإن كان مرامهم . وكان الشريف الرضى أبعد من أن يستخدم الحيف .

لقد دنت أسرة الشریف الرضی من الحکم فیحدثنا التاریخ أن
المأمون الخلیفة العباسی بايع علی الرضا الجد الرابع لصاحبنا بولاية
العهد . ولما سئل عن السر فی ذلك أجاب بأنه نظر الى من حوله من
العباسیین والطالبیین فلم يجد ا کفأ منه . ولکن علیا مات قبل
المأمون وبذلك بعد الحکم عن أسرة الرجل .

ولا ننسى أن الخلفاء العباسیین كانوا يتقربون من البويهیین
ويجتهدون فی توثیق العلاقات بينهم وبين آل بويه . ففي سنة ۳۶۴ هـ
تزوج الخلیفة الطائع شاه زمان بنت عضد الدولة علی صداق قدره
مائة ألف دينار وكتب العقد القاضي ابو بکر بن قریعه . وكان غرض
عضد الدولة أن تلد بنته ولدا ذکرا یكون فیما بعد خلیفة للمسلمین .
ولما تولی القادر بالله تزوج بنت بهاء الدولة ودفع صداقا قدره مائة
ألف دينار ولکنها ماتت قبل أن یدخل بها .

يأسه وحزنه

مرت السنون تباعا والشرىف الرضى ينتظر تحقيق آماله والظفر
 بأمانيه والوصول الى غايته ولكن على غير جدوى • فأدرك الرجل أن
 البوميين في تشيعهم لآل علي غير صادقين • ف شعر بالخيبة والفشل فيما
 كان يسعى اليه ومعنى نفسه به • واصطدم بالحقيقة المرة اصطداما بيئا •
 فأخذ يبكي وينوح ويندب آماله الضائعة • انظر اليه حين يقول
 وعدت يادهر شيئا بت أرقبه • وما أرى منك إلا وعد عرقوب
 وحاجة أتقاضاها وتمطلنى كأنها حاجة فى نفس يعقوب
 لا تمن على البيداء راحة والليل بالريح خفاق الجلايب
 لقد أخذ اليأس يسرى فى الرجل وشاعت روح الحزن والكآبة

فى شعره قال

مامقامى على الهوان وعندى مقول صارم وأنف حمى
 وباء محاق بى عن الضيم كما راغ طائر وحشى
 أى عذر له إلى المجد إن ذل غلام فى غمده المشرفى
 أجهل الضيم فى بلاد الأعداى وبمصر الخليفة العلوى
 من أبوه أبى ومولاه مولا ي اذا ضامنى البعيد القصى

لف عرقی بعرقه سسید الثا من جمیعاً محمد وعلى
 انت ذل بذلك الجو عز وأوامی بذلك النقم ری
 قد یزل العزیز مالم یسمر لانطلاق وقد یضام الأبی
 إن شراً على اسراع عزمی فی طلاب العلا وحظی بطی
 أرتفی بالأذى ولم یقف العز م قصورا ولم تعز المظی
 کالذی یخبط الظلام وقد أقم ر من خلفه النهار المفی

فوصلت هذه الأبیات إلى يد الخلیفة التتادر بالله فغضب غضباً شديداً
 وعقد مجلساً وأحضر فيه أبا الطاهر الموسوی والد الشریف الرضی وابنه
 المرتضی وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وأبرز لهم أبیات الشریف
 السالفة الذكر . وتقدم حاجب الخلیفة وقال للنقیب أبی احمد (والد
 الرضی) (قل لولدك محمد « الشریف الرضی » أی هوان قد أقام علیه
 عندنا ؟؟ وأی ضیم لقی من جهتنا ؟ وأی ذل أصابه فی ملکنا ؟ وما
 الذی یعمل معه صاحب مدر لو مضی الیه ؟ أکان یمنع معه أكثر من
 صنیعنا ؟؟ ألم نوله النقاۃ ؟؟ ألم نوله المظالم ؟؟ ألم نستخلفه علی الحرمین
 والحجاز وجعلناه أمیر الحج ؟؟ فهل کان یحصل له من صاحب مصر
 أكثر من هذا ؟؟ ما نظنه کان یكون لو حصل عنده إلا واحداً من

أفتاء الطائفتين ؟)

فقال النقيب ابواحمد (أما هذا الشعر فما لم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه وعزاه إليه) فقال القادر (إن كان كذلك فليكتب الآن محضر بذلك يشهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب ابواحمد (والد الشريف وابنه المرتضى)

وكان هذا المحضر الذي هو بمثابة اعتراف أو إقرار يتضمن قدحا في نسب العلويين بحكام مصر في ذلك الحين . وحمل الى الرضى ليوقع عليه . حملة إليه أبوه واخوه المرتضى . ولكن الشريف أمتنع عن التوقيع وقال إنه يخشى دعاة المصريين وأنكر الشعر واعترف كتابة بأنه ليس بشعره ولا يعرفه . وحاول أبوه أن يقنعه بكتابة اسمه تحت ما يختص بالقدح في الفاطميين ولكن الرجل أبي إباء شديداً وقال انه (يخاف دعاة الفاطميين وغيلاتهم وأنهم معروفون بذلك) فقال أبوه (يا عجباه ! أنت تخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ ولا تخف من بينك وبينه مائة ذراع) وحاف ألا يكلمه وكذلك اخوه المرتضى . فعلا ذلك خوفاً من القادر وتسكينه له . ولما انتهى الأمر إلى الخليفة القادر بالله سكت عن سوء أضمره له . وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة وولاه

محمد ابن عمر

یروی القاریء مما تقدم أن الشریف الرضی أنکر الشعر وأقر بأنه
 ليس من قوله . فأن صح ذلك فأننا لا نقبل هذا الإنکار لأن روح
 الرجل ظاهرة في هذا الشعر بوضوح وجلاء . ولعمري إن استطاع
 صاحبنا أن ينکر قصيدته السالفة فما هو بمستطيع أن ينکر قصيدته
 التي مطلعها

فقد الراضون بالذل فقيم	إنما الماضي إذا هم عزم
عالمهمي غير مخي نية	دائبا أهدر كالفحل السدم
أعرض الآمال مشغوظ بها	ثم أنساها إذا الخطب ألم
طال لبثي سادرا في غمة	وقديما كنت فراج الهمم

وهي طويالة . ولو تأملها القاریء لوجد بينها وبين القصيدة السالفة
 تشبها كبيرا .

صفاته وأخلاقه

١ - عفته

كان صاحبنا عفيفاً شريف النفس على المهمة لم يقبل من أحد صلة ولا جائزة حتى أنه رد صلوات أبيه . وقد أجتهد بنو بويه في جماله على قبول صلواتهم فلم يفلحوا في ذلك . وقد روى ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة أن الشريف كان يتلقى علوم الدين عن ابن الطبري النخعي المالكى فسمّاه هذا يوماً عن محل إقامته فأجاب الشريف بأنه يقيم في دار أبيه فقال ابن الطبري مثلك لا يقيم بدار أبيه . قد نخلت دارى بالكرخ المعروفة بدار البركة فامتنع الرضى عن قبولها وقال إنه لم يقبل من أبيه قط شيئاً ولا كن ابن الطبري ألح عليه حتى أن الشريف لم يجهد مناصداً من قبولها .

وحكى أن فخر الملك أحد وزراء آل بويه سمع ذات يوم أن الشريف قد ولد له غلام فارسل إليه بطبق فيه ألف دينار فردّه وقال قد علم الوزير أنى لا آخذ من أحد شيئاً . ولا كن فخر الملك أرسله ثانياً وقال

إنما هو للقوابل فردہ الشریف وقال إنا أهل بیت ولا تدخل علينا
قابلة غریبة انما يتولى ذلك الأمر المجانز من نعمائنا وهن لا يأخذن
على ذلك أجراً . فأعاده الوزير وقال ليفرقه الشریف على ملازمیه من
طلاب العلم فقال الشریف هاتم حضور فليأخذ كل أحد ما يريد . فلم
يقبل أحد من هؤلاء الطلاب أن يأخذ شيئاً وإخيراً رجع المال الى
الوزير .

٢ - مزاجه

وقد امتاز الشریف الرضی بمزاج سوداوی جعله يؤثر الجسد على
الهلل . ويبتعد عن مجالس اللهو وأمكنة الخلاعة والمجون . وكان يشرب
الخمر ولكن بمقادير قليلة كما كان وقوراً لا يستخذه الطرب ولا تابع
المصهباء برأسه حين يشرب . قال

وقور فلا الالحان تأسر عزمي ولا تمكر المصهباء بي حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء الا بوصفها ولا انطق العواري والقباب مقضب

٣ - قسوته

وكان الشريف الرضي ينسب الى الأفراط في عقاب الجاني من أهله .
وقد حدث أن امرأة عاوية شكت اليه زوجها وكان يقامر بما يحصل
عليه من عمله الذي يقوم به وهو فقير وذو عائلة وشهد لها من حضر
بالمصدق فيما ذكرت فاستحضره الشريف وأمر به فبطح وأشار بضربه
فضرب مائة خشبة حتى كاد الرجل أن يموت لولا أن صاحبت المرأة
(وايتم أولادي ، كيف تكون حالنا إذا مات) فكلما الشريف بكلام
فظ وقال ظننت أنك تشكينه الى المعلم .

٤ - ذكائه

وكان صاحبنا شديد الذكاء . فذكر ابن خلكان أنه أحضر الى ابن
السيرا في النحوي وهو لم يتجاوز العاشرة من سني حياته وأنه جالس
معه يوما فذاكره بشيء من الأعراب على عادة المماليك فقال . إذا قلنا
رأيت عمرو فما علامة النصب في عمرو فقال الشريف بغض على فمجب
ابن السيرا في والحاضرون من حدة خاطره .

ثم ان الرجل ابتدأ يقرض الشعر وهو في العاشرة من عمره

٥ - وفاء لا

ويرى المطالع لشعر الشريف ما يدل على ما امتاز به من وفاء
لأصحابه وخلانه . ومن أمثلة ذلك أنه كانت بينه وبين الخليفة الطائع
صدقة قوية ومحبة أكيدة فمدحه صاحبنا بقصائد كثيرة . ثم واساه
بقصيدة يوم قبض عليه الديلم وواساه بقصيدة أخرى . ولما مات الطائع
رثاه بقصيدة طويلة .

وكان كلما مر بقبر أبي اسحاق الصابي وقف خاشعاً وله في كل
وقفه قصيدة لو تدبرها القاريء لوجد فيها آيات الوفاء واضحة جلية
ومن هذه القصائد تلك التي مطلعها

لولا يذم الركب عندك موقفي	حييت قبرك يا أبا اسحاق
كيف اشتياقك منذ نأيت الى أخ	قلق الضمير اليك بالأشواق
هل تذكر الزمن الأنيق وعيشنا	يحاول على متأمل ومذاق
وليا الى الصبوات وهي قصائر	خطف الوميض بعارض مبراق

امراع الشيب اليه

يظهر أن مزاج الشريف الرضى السوداوى وحياته الخاصة التي كان يحياها والافكار الكثيرة التي استأثرت به وأقضت مضجعه وأرقته طويلا والامنية السامية التي كان يتطلع اليها . نقول يظهر أن كل هذه الاشياء قد تحالفت على الرجل وأثرت فيه فاشتعل رأسه شيبا وهو بعد في العام الثالث والعشرين من عمره . قال

عجبت يا شيب على مفرق	وأى عذر لك أن تعجلا
فكيف أقدمت على عارض	ما استفرق الشعر ولا استكملا
كنت أرى العشرين لى جنـة	من طارقات الشيب إن أقبلا
فالآن سيان ابن أم العـبا	ومن تسدى العمر الأطـولا
يا زائرا ما جاء حتى مضى	ومارضا ما جاد حتى انجلى
ليت بياضا جاءنى أخرا	فدى بياضا كان لى أولا

— وفاته —

كان للحقيقة المرة التي اصطدم بها الشريف الرضي وخبثته وفجسه
فيما كان يسمى إليه أثر سيء في نفسه وفي صحته . فقد كان شديد
الحقد ، كثير العبوس ، عظيم الحزن ، دائم الغليان فلا عجب ان
أخذ جسمه يذبل شيئاً فشيئاً وشرعت قواه في التدهور والانحلال
يوماً بعد يوم . وسرعان ما اختطفته يد المنون وهو في شرح الصبا
لقد مات حزينا ساخطا دهره . ناظراً على الدنيا وما فيها ومن فيها .
أدركته المنية في يوم الاحد سادس محرم سنة ٤٠٦ هـ ببغداد
فجزع أخوه المرتضى جزءاً شديداً حتى انه لم يشترك في الصلاة عليه
ولم يستطع حضور دفنه . وصلى عليه الوزير فيخر الملك وكثير من
العظماء والنبلاء ودفن بداره بالكرخ ثم نقل الى مشهد الحسين
بكر بلا حيث دفن بجوار أبيه .
وكان صاحبنا عند وفاته قد بلغ العام الثالث والأربعين من عمره

مرآئي الشعراء له

ولما مات الشريف الرضى رثاه أخوه المرتضى بقصيدة نذكر منها
 يا لرجال لفجعة جذمت يدي ووددت لو ذهبت على برامى
 مازلت أصدروورها حتى أتت فحسوتها في بعض ما أنا حامى
 ومطلتها زمنا فلما صممت لم يشنها مطلى وطول مكامى
 لله عمرك من قصير طاهر ولرب عمر طال بالأرجاس
 ورثاه تلميذه مهيار الديلمي بقصائد كثيرة جاء في إحداها
 بكر النعمى فقال : أردى خيرها ان كان يصدق فالرضى هو الردى
 طادت أراكة هاشم من بعده خوراً لناس الخاطب المتوقد
 فجعت بمعجز آية مشهودة ولرب آيات لها لم تشهد
 كانت اذا هى فى الامامة نوزعت ثم ادعت بك حقها لم تجهد
 تتبعتك طاقدة عليك امورها وعرى تميمك بعد لما تعقد
 وراك طفلا شيبها وكهوها فنحز حوالك عن مكان السيد
 انفتت عمرك ضائعا فى حفظها وعققت عيشك فى صلاح المفسد
 كالنار للمارى الهداية والقرى من ضوئها ودخانها الموقد